كلمة العدد

فن التعامل مع الأبناء

بقلم
د. محمود جمال أبو العزائم
رئيس التحرير

تعتبر فقرة الطفولة من أخطر الفترات فى حياة الإنسان وفيها تتحدد ملامح شخصية الإنسان، ومعاملة الأبناء فن يحتاج إلى أن يتعلمه الآباء والأمهات، وكثيراً ما يتساءل الآباء عن أفضل السبل النفسية والتربوية للتعامل مع أبنائهم، وخاصة فى مرحلة الطفولة، حيث قمة النشاط والحيوية والرغبة فى التعلم والمعرفة.

وعادة ما تتميز مرحلة الطفولة بوجود طاقات جسمانية متزايدة تتمثل فى سهولة الحركة مما يتيح للطفل قدراً كبيراً من المشى والجرى والتسلق، وقد يضيق الأهل بهذا النشاط الزائد من جانب الطفل، ويحاولون الحد من حركته مما يسبب ضيقاً شديداً له، فى الوقت الذى ينبغى فيه أن توجه هذه الطاقة الحركية فى اللعب المنظم، أى ينبغى ترشيد هذه الطاقة ليتسفيد منها الطفل فى بنائه ونموه.

كما يلاحظ أيضاً أن الطفل فى هذه المرحلة يكون مسلحاً بطاقة متزايدة تتمثل فى كثرة الكلام والأسئلة وقد يضيق الأهل بهذا النشاط وينهرون الطفل، مما يسبب إحباطاً هائلاً له، فى الوقت الذى ينبغى فيه أن تستثمر هذه الطاقة اللفظية فى إثراء معارف الطفل ووجدانه وإشباع حبه ونهمه للمعرفة، وبالقدر الذى يكون فيه الآباء على علم ودراسة وفهم فى الرد على الطفل وإشباع استجاباته نحو المعرفة بقدر ما ينمو الطفل عقلياً، فنمو ذكائه وقدراته العقلية العليا كالتذكر والإدراك والتخيل والتفكير، يسهم فى بناء العقل المفكر والمتفتح.

ولايجب أن نغفل دور اللعب في هذه المرحلة، وقد يطلق عليه اللعب الإيهامى أو الإسقاطى، والمقصود باللعب الإيهامى أن يتطابق الطفل مع أدوات اللعب المتاحة أمامه، فنرى الطفلة تحمل عروستها وتدللها وقد تنهاها عن عمل شىء وتوبخها وتضربها، وكل ذلك تعبير صريح وكشف لما تعانيه الطفلة فى حياتها اليومية، ويستطيع الملاحظ الخبير أن يتعرف نوع تربية الطفل والعوامل الفاعلة فى بناء شخصيته وما يحققه من إنجازات أو إحباطات أثناء متابعته للطفل وهو يلعب، والمقصود باللعب الإسقاطى أن يسقط الطفل مشاعره وصراعاته على اللعب، ومن ثم يعتبر اللعب من أهم وسائل التنفيس عند الطفل.

كما أن اللعب مجال خصب من جانب الكبار لإرشاد الطفل وإكسابه الأنماط السلوكية المرغوبة كالنظام والتعاون وإكسابه المهارات المختلفة.

ولانغالى إذا قلنا : إن اللعب بالنسبة للطفل هو بمثابة العمل بالنسبة للبالغ، وكما أننا لانتخيل راشداً بدون عمل فلا يمكن أن نتخيل أن هناك طفلاً لا يلعب.

ويخطىء الكثير من الآباء حين يظنون أن الطفل الهادىء قليل اللعب والحركة طفل مثالى، بل على العكس، فالأطباء النفسيون يرونه طفلاً بائساً ينقصه السواء النفسى.

التربية الإسلامية للأبناء

والكثير من الآباء دائماً يتساءلون عن أنسب الطرق لتنشئة الأبناء من الناحية النفسية الإسلامية وللإجابة على هذا السؤال نجد أننا فى حاجة إلي الوقوف عند عدة محاور هامة كالتالى:

أولاً : كن قدوة صالحة

لأهمية عنصر القدوة فى حياة الناس ولكون الإنسان بطبيعته يحتاج إلى نموذج تطبيقى حى أمامه حتى يتصور الخلق القويم والسلوك السوى فيتمثله فى حياته، أرسل الله تعالى المرسلين وأمرنا بالاقتداء بهم فقال سبحانه ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ (سورة الأنعام : ٩٠) وقال عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (سورة الأحزاب : ٢١).

والقدوة الصالحة من أعظم الوسائل المساعدة على تكوين العادات الطيبة حتى إنها لتيسر معظم الجهد فى كثير من الحالات ذلك أن الابن يحب المحاكاة من تلقاء نفسه وأطفال المسلمين يحاكون آباءهم فى الصلاة حتى قبل أن يتعلموا النطق ويصبح تعويدهم عليها أمراً سهلاً فى الموعد المحدد».

ولعل من بركة توجيهاته صلى الله عليه وسلم صلاة النوافل فى البيوت وألا يجعلها الناس قبوراً لما فى ذلك من كبير الأثر فى اقتداء الأولاد بذلك، فقد روى أبو داود أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : «فضل صلاة الرجل فى بيته على صلاته حيث يراه الناس كفضل المكتوبة على النافلة»

ثانياً : العطف على الأولاد

الأب الناجح هو الأب الرحيم العطوف بأبنائه وأسرته الذى يمنحهم الحب والعطف والحنان ويشملهم برعايته ويحتويهم بقلبه الكبير ويشعرون معه بالسعادة والأمان، والأب القاسى يسبب الكثير من الأمراض النفسية لدى أبنائه.

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم خير قدوة فى رحمته وعطفه وملاطفته الصغار وملاعبتهم والتبسط معهم والتحبب إليهم وعدم العبوس فى وجوههم.

روى الشيخان قول النبى صلى الله عليه وسلم «إنى لأدخل فى الصلاة وأنا أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبى فأتجوز فى صلاتى مما أعلم من وجد أمه من بكائه» (البخارى).

ومن الآباء من لايراعى الرحمة مع أبنائه ولا الرأفة فى معاملتهم فيترك فى أنفسهم جروحاً غائرة لا تزول ولا بمرور السنين روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الحسن وعنده الأقرع بن حابس، فقال الأقرع: «إن عندى عشرة من الولد ماقبلت منهم أحداً»، فقال النبى صلى الله عليه وسلم «من لا يَرحم لا يُرحم» (رواه البخارى) وقال الله سبحانه : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران : من الآية ١٥٩).

ثالثاً : عدم التهاون فى التربية

فقد روى مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : «إن الله يحب الرفق ويعطى على الرفق مالا يعطى على العنف ومالايعطى على سواه». وقال صلى الله عليه وسلم «فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق» (السلسلة الصحيحة).

ولكن ليس معنى الرفق والحب والرحمة أن يتهاون الأب مع أولاده فى مواطن الحزم.

رابعاً : التربية بالحب

يجب أن يعلم الأب أنه فى بيته قائد لمدرسة تربوية لها منهج ووسائل كما أن لها ضوابط، فعليه أن يضع منهجها وفق السنة النبوية ويحدد ضوابطها مثلما حددها الشرع الإسلامى العظيم، ولكن مع ذلك فلا ينبغى الجمود فى تطبيق ضوابط تلك المدرسة، فهى مدرسة محببة للولد تسعد البيت وتنشىء الأسرة السعيدة.

ويجب على الآباء تثقيف أنفسهم وتعليمها فن التربية وأساليبها ومداومة سؤال المربين وخبراء علم النفس والعلماء فى ذلك، كما يستحب لهم متابعة الإصدارات النفسية والتربوية الحديثة والوقوف على ماينفع منها.

وتعلم الصبر على الأولاد من المهارات الأبوية الهامة، وقد حذر المربون من كثرة معاملة الأولاد بالغضب خصوصاً إذا كانت طبيعة الأب عصبية أو سريعة الغضب، وليحذر الآباء من ضرب أولادهم فى لحظات الغضب فإن ذلك من الأخطاء الخطيرة التى لا تؤدى إلى تعليم ولا توجيه ولكنها تؤدى إلى نتائج نفسية سيئة.

وليعلم كل أب أن أبناءه يتعلمون بالحب قبل أن يتعلموا بالأمر والشدة، فاحرص أيها الأب على إشاعة روح المحبة بينك وبين أبنائك.

وعلى كل أب أن يخلو بابنه كل مدة ليلاعبه ويكلمه ويسأله ويتقرب منه ويسأله عما يحزنه أو يؤرقه أو لايعجبه ويسأله عن آماله وأحلامه وطموحاته فجلسات الود والمصارحة هى تفريغ نفسى وجدانى هام للغاية فى تربية الأولاد، ولئن اشتكى معظم الآباء من عدم قدرتهم على التقرب من أولادهم فلأنهم قد قصروا فى لقاءات المحبة والمصارحة تلك فى الصغر فصعب عليهم ذلك فى الكبر وبنيت الجدران بينهم وبين أولادهم!!